الفصل الأول
كل نفس ذائقة الموت

- سكرات الموت ومقدمات الغيب.
- مواقف وحوارات عند الموت.
- كيف تعامل الملائكة المؤمنين عند الموت ؟
  - مثال للذين آمنوا وعملوا الصالحات.
  - مثال للمسلمين الذين فرطوا فى دينهم.
  - مثال للمسلمين الذين ظلموا أنفسهم.
- كيف تعامل الملائكة الكافرين عند الموت ؟
- حياة البرزخ.
- أحوال القبر.
- سؤال الملكين.
- عذاب القبر.

كل نفس ذائقة الموت

الإيمان باليوم الآخر:

إن الدين كله بكل طاعاته وكل منهجه قائم على أن هناك حساب فى الآخرة وأن هناك يوما نقف فيه جميعا أمام الله سبحانه ليحاسب المخطئ ويثيب الطائع، فقد ارتبط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله عز وجل فى عدد كبير من آيات القرآن الكريم مثال **قوله تعالى** ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ **البقرة:**١٧٧، وتوعد الحق سبحانه وتعالى الذين لا يؤمنون باليوم الآخر بالعذاب الأليم يوم القيامة **قال تعالى** ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الإسراء:١٠، وأثبتت الأحاديث الصحيحة أن الإيمان باليوم الأخر من قواعد الإيمان الكامل فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان. فى خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة) الآية ثم أدبر فقال: ردوه. فلم يروا شيئا. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم) [1].

ويجب الإيمان بأمور الآخرة كما وردت فى الخبر الصحيح إذ العقل الإنساني قاصر على إدراكها، فعالم الآخرة غير عالم الحياة الدنيا، لذلك لا يمكن أن نستخدم قانونا أو مقياسا دنيويا مما ألفناه فى تفسير أو الحكم على أمور الآخرة، فكل ما يتصور فى هذا اليوم من مشاهد وأهوال فحقيقته فوق كل ما يتصور **قال تعالى** ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ **الانفطار:** ١٧ - ١٨.

بداية النهاية:

تبدأ أحداث يوم القيامة بالنسبة للإنسان على المستوي الفردي منذ لحظة وفاته، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الموت القيامة. فمن مات فقد قامت قيامته)[٢].

وقد استدل العلماء كذلك على أن من مات قامت قيامته بالحديث الذى رواته عائشة رضى الله عنها أنها قالت:(كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: أن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم)[٣] يعنى موتهم.

إذن القيامة صغرى وكبرى. الصغرى هى موت الإنسان وخروج روحه، حيث يتحدد مصيره فى تلك اللحظة ويعرف ما ينتظره إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس جميعا وتأخذهم أخذة واحدة.

بناء على ذلك سوف نتناول مواقف وحوارات يوم القيامة بداية من ساعة الاحتضار، حيث تغادر الروح الجسد، وتبدأ رحلة الإنسان إلى العالم الآخر، ولكن قبل أن نستعرض تلك الأحداث ونتعرف على الحوار الذى يدور خلالها بين الملائكة وبين الذى تتوفاه لابد أن نوضح عدة أمور وهى:

أولا: سكرات الموت

يعانى بعض الناس آلاما شديدة عند الموت تفقدهم الوعى، وهو ما يعرف بسكرات الموت **قال تعالى**﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ق: ١٩، ويجب الإشارة إلى أن سكرات الموت وشدته، لا تدل على نقص الإيمان، أو سوء العاقبة، بل هى للمؤمن إما زيادة فى حسناته أو تكفيرا لسيئاته، فقد عانى صلى الله عليه وسلم من سكرات الموت، ففى الحديث (أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى بيتى، وفى يومى وبين سحرى ونحرى، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، دخل على عبد الرحمن و بيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليته لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره، وبين يديه ركوة - أو علبة - فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات. ثم نصب يده فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى، حتى قبض و مالت يده)[٤].

ومما يدل على أن سكرات الموت زيادة لحسنات المؤمن قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها(مات النبى صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبى صلى الله عليه وسلم) [٥] وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما أحب أن يهون على سكرات الموت أنه لآخر ما يكفر عن المؤمن.

ويمكن القول أن ما يحدث للمؤمن من البشرى، ومسرة الملائكة بلقائه، وفرحته بلقاء ربه يهون عليه كل ما يلاقيه من شدة الموت وسكراته، قال النبى صلى الله عليه وسلم (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة - أو بعض أزواجه- أنا لنكره الموت قال: ليس ذلك و لكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه)[٦] ويجب ملاحظة أن هناك فرق بين سكرات الموت وشدته التى نرى آثارها على بعض من حضرته الوفاة وبين العذاب الذى يعانى منه الذين كفروا عندما تتوفاهم الملائكة ولا نرى آثاره عليهم، كما سنوضح.

ثانياً: من الذى يتوفى الأنفس ؟

عندما تأتى اللحظة المحددة والمقدرة فى علم الله سبحانه وتعالى بانتهاء الأجل وبموت أى نفس، يصدر الحق سبحانه أوامره إلى ملك الموت -- عزرائيل- الذى تصرفه كله بأمر الله سبحانه **قال تعالى** ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ آل عمران: ١٤٥، فينفذها مباشرة ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ السجدة: ١١، وينقل هذه الأوامر إلى أعوانه ليباشر كل أحد مهمته ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ الإنعام: ٦١ إذا مرجعية الأمر لله عز وجل هو الذى يأمر بتوفى الأنفس وملك الموت وأعوانه من الملائكة هم بالتالى الذين ينفذون الأمر.

"ولا معارضة بين الآيات المذكورة فإسناده (جل وعلا) التوفى لنفسه لأنه لا يموت أحد إلا بمشيئته تعالى، وإسناده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وإسناده إلى الملائكة لأن لملك الموت أعوانا من الملائكة ينزعون الروح من الجسد إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت، كما قال بعض العلماء والعلم عند الله تعالى"[٧].

ثالثا: كل نفس ذائقة الموت .

الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انتقال من حال إلى حال، وقد كتب الحق سبحانه الموت على كل المخلوقات، وسوف تحس وتتذوق الموت كل خلية من الجسد **قال تعالى** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ آل عمران:١٨٥، يقول الشيخ الشعراوى فى تفسير هذه الآية "أراد الله أن يعطينا بها معنى الإحاطة فكأن كل خلية من الجسد سيمسها الموت فلا يؤثر الموت على الحواس فقط ... ولا على العقل والقلب فقط ... ولكن كل خلية فى جسد الإنسان سوف تحس وتتأثر به "[٨].

ويتوقف الشعور بالسعادة والألم على أساس الإيمان والعمل الصالح، فإذا كان المتوفى من الكافرين تنهال عليه الملائكة بالضرب، وتنزع روحه بقسوة وعنف من كل جزء من جسده نزعا يؤلمه ويؤذيه بشدة **قال تعالى** ﴿ وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴾ النازعات:١، وأما إذا كان من المؤمنين تقبل عليه الملائكة بالسلام والبشرى وتنزع روحه برفق ولين وسهولة **قال تعالى** ﴿ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴾ النازعات: ٢.

رابعا: انتهاء الإرادة البشرية.

بداية من ساعة الاحتضار تنتهى إرادة الإنسان على فعل الأشياء، ويصبح كل منا مقهورا خاضعا لأمر الله مباشرة فلقد أنتهى وقت الاختيار ولم يعد أحد قادرا على أن يفعل ما يريده، ولا يمنع ما يقع عليه.

خامساً: مقدمات الغيب .

تختلف حواس وقدرات الإنسان ساعة الاحتضار، عن حواسه وقدراته فى الحياة الطبيعية ففى تلك اللحظات التى يعاين فيها المحتضر ملائكة الموت **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ الفرقان: ٢٢ ويتيقن أنه سيفارق الدنيا **قال تعالى** ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾ القيامة: ٢٦-٢٨، عندئذ تخمد حواس وتنشط حواس، ويأخذ الإنسان مقدمات الغيب، فهو إلى ملكوت الله عز وجل أقرب من الذين حوله، فيسمع ما لا يسمعون، ويرى ما لا يرون، سواء نزعت الملائكة روحه بشدة أو بلطف **قال تعالى** ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الواقعة: ٨٣- ٨٥ ويدور بين ملائكة الموت ومن تتوفاهم حوار يختلف من إنسان لآخر بحسب درجته الإيمانية.

مواقف وحوارات عند الموت

يحفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التى تصور لنا بعضا من أحداث ساعة الاحتضار وتبين لنا كيف ولماذا تختلف معاملة ملائكة الموت لمن تتوفاهم، وتتعرض لبعض نصوص الحوار الذى يدور فى تلك المواقف، حيث تتلاشى كل اللغات التى تتحدث بها جميع المخلوقات على اختلاف أجناسها، وتصبح هناك لغة واحدة تتحدث بها وتفهمها جميع المخلوقات، لغة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

وللتعرف على تلك المواقف وما يدور فيها من حوارات سوف نبدأ أولا بالأحداث التى يتعرض لها الذين آمنوا، وبعد ذلك نستعرض الأحداث التى تقع للذين كفروا وغيرهم، ونعرف هل هو حوار واحد يتكرر أم حوارات متعددة تختلف من إنسان لآخر ؟

كيف تعامل الملائكة المؤمنين عند الموت ؟

يتفاضل المؤمنون فيما بينهم على أساس الإيمان والعمل الصالح، فمنهم الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة شرع الله وأتباع الشهوات والأهواء، ومنهم من خلط عملا صالحا بآخر سيئا ومنهم المقصرين المضيعين لحدود الله الذين شغلتهم الحياة الدنيا واهتموا بالمال والأولاد عن الالتزام بمنهج الله سبحانه، ومنهم المتقين الذين تمسكوا بأوامر الله فى جميع أعمالهم ومعاملاتهم **قال تعالى** ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢، وبين درجة المتقين ودرجة الذين ظلموا أنفسهم العديد من الدرجات وعند الاحتضار تختلف معاملة الملائكة الموكلة بتوفى الأنفس للمؤمنين طبقا لدرجاتهم الإيمانية، فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث أمثلة أو نماذج على سبيل التمثيل وليس الحصر تصف لنا ماذا يحدث للمؤمنين عند الوفاة من أحداث وحوار، حيث يعبر كل نموذج عن مستوى إيماني.

الأول : يعبر عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

الثاني: يعبر عن المسلمين الذين فرطوا فى دينهم.

الثالث: يعبر عن المسلمين الذين ظلموا أنفسهم.

مثال للذين آمنوا وعملوا الصالحات:

أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتطهروا من دنس المعاصى، واستقاموا على شريعة الله فى سلوكهم وأقوالهم، فكانوا مؤمنين حقا، ومسلمين صدقا، عندما تأتيهم الملائكة الموكلة بتوفى الأنفس، يتملكهم شعور بالرهبة والخوف من ما هم مقبلون عليه، فتبادرهم الملائكة بإلقاء السلام عليهم لتطمئن قلوبهم، وتهدئ روعهم، ثم تبشرهم بالجنة.

قال تعالى " ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " النحل: ٣٢.

فينزل هذا القول على قلوبهم بردا وسلاما فما أجملها من بداية، هذه الآية الكريمة تلخص لنا اللقاء من بدايته إلى نهايته، ولكن ما هى تفاصيل هذا المشهد الجميل ؟ الذى يجمع بين ملائكة السماء وأهل الجنة ؟ وتأتى الإجابة من آيات أخرى تلقى الضوء على نص الحوار الذى يدور فى اللقاء.

قال تعالى " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ "[9] فصلت: ٣٠-٣٢.

تؤكد هذه الآيات على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتملكهم فى البداية شعور بالخوف والحزن فما يكون من ملائكة الموت إلا أن تسارع فى طمأنتهم قائلة لهم:

" أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ " أى لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه من هول الموت وهول القبر، وشدائد يوم القيامة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه فى الحياة الدنيا من أهل ومال وولد، وابشروا بالجنة التى وعدكم الله سبحانه بها. إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ التوبة: ٧٢ ولكى تزيدهم اطمئنان تقول لهم:

" نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ " أى نحن أنصاركم وأعوانكم فى الحياة الدنيا والآخرة وبعد أن يطمئن المؤمنون ويسعدوا بالبشرى، تبدأ الملائكة فى وصف

الجنة لهم: " وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ " أى فيها من النعيم ما تشتهيه الأنفس وتقر به الأعين، وأن فيها ما يتمنونه ضيافة وكرامة من رب واسع المغفرة عظيم الرحمة. وينتهى اللقاء بأجمل نداء يمكن أن تسمعه أذن:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠.

أى يا أيتها النفس الطاهرة الذكية، المطمئنة بوعد الله، التى لا يصيبها اليوم خوف ولا فزع، ارجعى إلى رضوان ربك وجنته، راضية بما أعطاك الله من النعم، مرضية عنده بما قدمت من عمل، فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين، وادخلى جنتى دار الأبرار الصالحين.

هذا مثال يصف لنا ماذا يحدث عندما تتنزل الملائكة لتقبض أرواح الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويصور لنا حالة الخوف الشديد التى تعتريهم، لكن لماذا يشعرون بالخوف فى تلك اللحظات؟

شعور الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالخوف دليل صدق إيمانهم وقوة يقينهم، فهم فى خوفهم هذا يمتثلون **لقوله تعالى** ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ البقرة:٤٠ **وقوله تعالى** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ فهم خائفون من جلال الله وعظمته ومن أهوال يوم القيامة، ومن عذاب النار، فالخوف فى تلك اللحظات ليس بالشىء الغريب عليهم، فلقد عاشوا حياتهم يخافون الله ويتقون عذابه، حتى وهم يتقربون إليه بأفعال الخير والبر يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم، ويخافون أن يكونوا قد قصروا فى القيام بشرط الطاعات والأعمال الصالحة، لذلك مدحهم سبحانه **بقوله تعالى** ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٠ – ٦١.

وقد روى أن (عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآية الكريمة " وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " فقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق! ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم)[١٠] وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية من الله سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ فاطر: ٢٨، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أ شد الناس خشية من الله

سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[١١] فإذا كانوا يخافون الله سبحانه وهم على قيد الحياة فمن باب أولى أن يشعر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالخوف فى لحظات الموت.

كذلك نلاحظ أن القرآن الكريم قد ركز على نص الحوار من جانب واحد فقط، فالملائكة تسلم وتطمئن وتبشر بالجنة وتصفها، والمؤمنون يرون الملائكة ويسمعون الحديث ولكن لم يرد فى القرآن الكريم نص لرد من جانب المؤمنين، فهل لأنهم فى حالة لا يحتاجون فيها إلى كلام؟ الله أعلم، فقد جدوا واجتهدوا وأرضوا الله فى الحياة الدنيا فأرضاهم الله عند لقائه وحانت لحظة جنى الثمار وبدأ النعيم من تلك اللحظات وإلى الأبد، فأحبوا عندئذ لقاء الله وأحب الله لقاءهم. وصدق النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة - أو بعض أزواجه- أنا لنكره الموت قال: ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه)[١٢].

مثال للمسلمين الذين فرطوا فى دينهم :

هناك بعض من المسلمين شغلهم عن طاعة الله جمع الأموال، والتهالك على زيادتها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها وحب الأولاد وشدة الشفقة عليهم والقيام بما يصلحهم فى أمر معاشهم، حيث آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وقصروا فى العمل الصالح، وألهتهم الدنيا فأقبلوا عليها، رغم تحذير الحق سبحانه لهم أن الأموال والأولاد ما هى إلا اختبار لبيان كيف يحافظون معها على حدود الله **قال تعالى** ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ **الأنفال:** ٢٨ فماذا يحدث لهم عندما تأتيهم ملائكة الموت ويتيقنون من النهاية؟

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾[١٣] المنافقون : ٩-١١.

تصور لنا هذه الآيات الكريمة شعور فريق من المسلمين الذين فرطوا فى دينهم عندما يأتيهم الموت، وتبين لنا أن أهم ما يشغل بالهم ويريده كل منهم فى تلك اللحظات هو تأجيل الموت، وتوضح حالة الندم الشديد الذى يشعر به كل منهم عندما يتوجه بالرجاء إلى الله سبحانه قائلا:

" رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ " أى يرجو من الله سبحانه أن يؤخر موته فترة من الزمن، لكى يعوض ما فاته من عبادات، ويتصدق، ويعمل الصالحات فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ليستدرك ما فات، ولكن هيهات فلن يمهل الله سبحانه أحدا أيا كان إذا انتهى أجله، ولن يزيد فى عمره، ولكن لم توضح لنا تلك الآيات كيف تعاملهم الملائكة، وما هو رد الملائكة عليهم، ولكن من الممكن أن نستشف أن اللقاء صعب وشديد، وأنهم عندما رأوا سوء العاقبة، وأدركوا أنهم من الخاسرين، طلبوا فرصة أخرى لكى يستدركوا ما فاتهم. قال ابن عباس تفسيرا لهذه الآية (هذه الآية أشد على أهل التوحيد، لأنه لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير فى الآخرة)[١٤] .

وهنا نتساءل لماذا كان السبب فى طلب التأجيل فى هذه الحالة هو "فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ " ولم يكن شيء آخر ؟ يمكن القول أنه أدرك فى تلك اللحظات أن ذنبه الأكبر هنا هو الاهتمام بالدنيا وعدم الأنفاق من ما رزقه الله من رزق بمفهومه الشامل سواء كان (مال أو علم أو صحة أو وقت أو غيره) فى سبيل الله، بالإضافة إلى ذلك أن ملائكة الموت – كما سيتضح فى الحوارات التالية – تخبر كل فرد تعامله بشدة وقسوة عن أكبر ذنوبه التى أرتكبها فى الحياة الدنيا أثناء الحوار الذى يدور بينها وبين المتوفى مثال **قوله تعالى** ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام:٩٣. فيا من كنت من الذين شغلتهم الحياة الدنيا عن ذكر الله، تذكر نفسك فى هذا الموقف، عندما تصبح أمنيتك الوحيدة التى لن تتحقق هى أن تعطى فرصة لكى تنفق وتعمل الصالحات. فسارع بالإنفاق فى سبيل الله مما رزقك الله سبحانه لتتغلب على حب الدنيا وتكن من عباد الله الصالحين.

مثال للمسلمين الذين ظلموا أنفسهم:

ظلم النفس هو الاندفاع وراء تحقيق الشهوات والأهواء، ومخالفة ما شرعه سبحانه وتعالى للنفس لينفعها نفعا أبديا مستوفيا **قال تعالى** ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ الطلاق:١، ويخبرنا عز وجل عن حالة هذا الصنف من المسلمين ساعة الاحتضار وعن نص الحوار الذى يدور بين الملائكة وبينهم، والذى يختلف باختلاف ذنب كل منهم، ففى المثال الذى بين أيدينا نجد ظلم النفس هنا راجع إلى أنه يعيش مستضعف فى أرض لا يستطيع فيها الالتزام بأوامر الله سبحانه، ويرفض الهجرة إلى أرض يأمن فيها على دينه مؤثرا حب الأموال والأملاك على عبادة الله سبحانه.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [١٠] النساء: ٩٧-٩٩.

نزلت هذه الآية فى ناس من مكة اسلموا، ولكن لم يستطيعوا الهجرة مع المهاجرين خوفا على أموالهم وأملاكهم ورضوا بالإقامة فى دار الكفر بدلا عن دار يقدرون فيها على إقامة دين الله، ويمكن أن تنطبق على كل مسلم تناله الفتنه فى دينه، ويرفض الهجرة إلى أرض يأمن فيها على دينه ويؤدى فيها عباداته، مؤثرا حب الأموال والأملاك على عبادة الله سبحانه وتعالى بالرغم من **قول الحق سبحانه** ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَٰ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦. فعند الاحتضار لا تتوفى الملائكة الذين ظلموا أنفسهم فى صمت بل يقلبون ماضيهم، ويستنكرون أمرهم ويسألونهم:

(فِيمَ كُنتُمْ ؟) أى ماذا كان موقفكم تجاه أوامر الله؟ وفيما أضعتم أيامكم ولياليكم؟ وهو سؤال الغرض منه التوبيخ والتقريع، وبناء على الإجابة يدور الحوار.

ففى هذا الموقف لا يجدون ردا على هذا الاستنكار إلا جواب كله مذلة، ويحسبونه معذرة على ما فيه من ذل ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى كنا أذلاء فى الأرض لا نملك من

أمرنا شيئا، يستضعفنا الأقوياء، عاجزين عن إقامة دين الله. وعلى كل ما فى هذا الرد من مهانة، فإن الملائكة لا تتركهم بل يجابهونهم بالحقيقة، ويؤنبونهم على عدم المحاولة، فتقول لهم الملائكة:

"أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا؟" أى أليست أرض الله واسعة فتهاجروا من دار لا تستطيعون فيها عبادة الله إلى دار تقدرون فيها على إقامة دين الله .

إنه لم يكن العجز الحقيقى هو الذى يحملهم إذن على قبول الذل والهوان والاستضعاف والفتنه عن الإيمان، إنما كان هناك شئ آخر يمسكهم فى دار الكفر ألا هو حرصهم على أموالهم ومصالحهم وأنفسهم.

وقال تعالى بيانا لجزائهم (فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) ثم أستثنى سبحانه وتعالى منهم الضعفاء والعاجزين عن الهجرة.

يتبين لنا من هذا الحوار أن هناك قسوة وشدة فى المعاملة، وتوبيخ وتقريع في الحوار من جانب ملائكة الموت، وحجج واهية من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله عز وجل، ولنا أن نتوقع مقدار الأسى والغم عندما يعرف هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم أن مصيرهم جهنم، وما ينتظرهم من عذاب أليم.

نلاحظ من الأمثلة السابقة أنها قد عبرت عن جميع حالات المسلمين:

فى المثال الأول، تبين لنا كيف تعامل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند الوفاة وأن خطاب الملائكة لهم وإن اختلفت ألفاظه من إنسان لآخر مضمونه واحد، فهو يبدأ بالسلام عليهم ثم طمأنتهم وبعد ذلك تبشرهم بما ينتظرهم من نعيم فى الجنة، وينتهى اللقاء بهذا النداء الجميل: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠.

والمثال الثانى يصور لنا حالة الندم والأسى التى يعانى منها الذين قصروا فى طاعة الله سبحانه عند الوفاة حيث يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، وأنهم جميعا يريدون مطلبا واحدا وإن اختلف نص الكلام من شخص لآخر وهو تأجيل الموت فترة من الزمن، لكى يحسنوا العمل وأن رفض تأجيل الموت هو الإجابة على طلبهم جميعا.

وفى المثال الثالث نجد الحوار المتبادل بين الملائكة والذين ظلموا أنفسهم، لا يخرج عن كونه توبيخ وتقريع من الملائكة، وحجج واهية من الذين ظلموا أنفسهم عن السبب فى عدم الطاعة والعبادة، وفى النهاية بيان للجزاء.

فى جميع الحالات السابقة ومنذ لحظة الوفاة يعرف كل إنسان مصيره وما ينتظره من نعيم أو جحيم.

كذلك نلاحظ أن الآيات التى تصف لنا تلك اللقاءات تسلط الضوء على أهم نصوص الحوار فقط ففى المثال الأول يكون التركيز على حديث الملائكة للذين آمنوا وعملوا الصالحات فقط، وفى المثال الثانى نجد العكس حيث يسلط الضوء على طلب الذين فرطوا فى طاعة الله بتأجيل الموت، ولكن فى المثال الثالث يتم التركيز على نص الحوار المتبادل بين الملائكة وبين الذين ظلموا أنفسهم.

كيف تعامل الملائكة الكافرين عند الموت؟

الكافرون ليسوا على درجة واحدة بل تتباين درجاتهم طبقا لما ارتكبوه من جرائم إضافة إلى كفرهم فمنهم من كفر بالله وادعى أنه إله، ومنهم من كذب على الله أو كذب بآياته، ومنهم من أشرك آله آخر مع الله، ومنهم من ظلم نفسه أو ظلم الآخرين وهكذا ...، وبالتالى تختلف معاملة الملائكة الموت لهم عند الوفاة، ويعطى لنا القرآن الكريم أمثلة لما يحدث لهذا الفريق من البشر عند الموت يسرد فيها نص الحوار المتبادل بين الملائكة وبينهم، ويصف فيها مدى القسوة التى يعاملون بها منذ البداية، فاللقاء هنا يبدأ بشكل مأساوى يتضمن الحكم النهائى عليهم ويقضى على أى أمل لهم فى النجاة من العذاب.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الفرقان: ٢٢.

لقد تجاوز المجرمون الحد فى الظلم واستكبروا وطلبوا أن تنزل عليهم الملائكة، أو يروا الله سبحانه لكى يؤمنوا **قال تعالى** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٢١ وها هو الرد يأتيهم عند الموت.

فعندما يرى الكافرون ملائكة الموت، لن يكون لهم بشارة تسرهم، كما حدث مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات بل تقول لهم الملائكة: "حِجْرًا مَّحْجُورًا " أى حرام ومحرم عليكم دخول الجنة.

نلاحظ هنا أن اللقاء على النقيض تماما مما حدث مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاللقاء هناك يبدأ بالسلام والبشرى بالجنة ويحيطه جو من الاطمئنان والسكينة وحسن المعاملة.

ولكن ما هو يا ترى رد فعلهم فى هذه اللحظة؟ وماذا يقولون؟ يتضح هذا فى آيات أخرى.

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠ ﴾ المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠.

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه فى تلك اللحظة تبدأ حالة الشعور بالندم فلقد أيقن كل منهم أن مصيره النار وعرف ما ينتظره من العذاب فيقول متحسرا على عدم إيمانه:

(قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ) أى يا رب ردنى إلى الحياة الدنيا، ولكن لماذا يريد العودة إلى الحياة الدنيا مرة أخرى هل طمعا فى نعيم الدنيا وزخرفها؟ لا بل يريد العودة لكى يؤمن بالله سبحانه ويلتزم بأوامره ونواهيه. ولكن يأتيه رد شديد اللهجة فيه ردع وزجر:

(كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى لا رجوع إلى الدنيا فليرتدع عن ذلك فإن طلبه للرجعة كلام لا فائدة فيه ولا جدوى منه إنها مجرد كلمة يقولها وقت الضيق والشدة، فهو الآن فى عالم البرزخ يظل فيه إلى يوم القيامة.

نلاحظ هنا أن هذا الطلب(بالرجعة) غير طلب المسلمين الذين فرطوا فى عبادة الله (بتأجيل الموت) ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المنافقون: ١٠ ولكن الإجابة واحدة وهى الرفض.

وماذا عن معاملة الملائكة لهم ؟

قال تعالى عن المرتدين ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ **محمد**: ٢٧.

وقال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ الأنفال: ٥٠ – ٥١.

نفهم من هذه الآيات أنه عندما تتوفى ملائكة الموت الذين لم يؤمنوا بالله فإنها تعذبهم وتضربهم ضربا شديدا على وجوههم وظهورهم، وأن هذا الضرب يختلف عن الضرب الذى نعرفه فهو ينتج عنه إحساس بالحريق يقاسون منه، وتنزع الملائكة أرواحهم بقسوة وعنف وتقول لهم:

(وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) أى لتشعر وتقاسى كل خلية من جسدكم بعذاب النار المحرق وتوضح لهم السبب فى هذا العذاب: (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) أى هذا العذاب بسبب كفركم وأعمالكم السيئة فالله سبحانه عادل لا يظلم أحدا.

ويحدثنا القرآن فى آية أخرى عن موقف الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وعدم الإيمان بالله ورسله عندما يتعرضون للضرب والعذاب من الملائكة عند الموت.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[١٦] النحل: ٢٨–٢٩.

حيث يستسلمون للملائكة ولا يبدون أى مقاومة بعد أن كانوا فى الدنيا متكبرين معاندين ولكى يخلصوا أنفسهم من هذا العذاب يكذبون كما هى عادتهم فى الحياة الدنيا ويقولون للملائكة:

(مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ) أى ما عصينا ولم نرتكب أى جرم .

ولكن يأتى رد الملائكة عليهم:

(بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى أن الله عليم بما كنتم تعملون فى الدنيا من سيئات، وعندئذ تبشرهم الملائكة بما ينتظرهم من عذاب وأن مصيرهم إلى النار قائلة:

(فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ) أى ادخلوا جهنم ماكثين فيها أبدا بئست مقرا ومقاما للمتكبرين عن طاعة الله.

ولأن الذين كفروا تختلف معاملتهم طبقا لما ارتكبوه من جرائم، فأعظمهم جرما من أفترى على الله الكذب، وكذب بآياته، أو من أدعى النبوة وقال أوحى إلى كذبا، أو عارض القرآن وقال سأنزل مثل ما أنزل الله، فهذا الصنف من البشر لهم معاملة خاصة عند الموت تتناسب وجرمهم وتكبرهم، فالضرب هنا أشد والعذاب ليس عذاب أليم فقط ولكنه مذل مهين أيضا فهم سادة القوم ورؤساء الكفر.

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٧] الأنعام: ٩٣.

أى تتوفاهم الملائكة وهم يضربونهم على وجوههم وظهورهم قائلين لهم:

(أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ) أى خلصوا أنفسكم من هذا العذاب وتضيف قائلة:

(ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ) أى اليوم تجزون العذاب المهين.

وتوضح لهم السبب فى استحقاقهم لهذا العذاب:

(بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ) أى هذا بسبب افترائكم على الله الكذب وتكبركم عن الإيمان بآيات الله.

وتتضح معالم الموقف وتستكمل أجزاء الصورة فى آية أخرى.

قال عز وجل ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [١٨] الأعراف: ٣٧.

فعندما تتوفاهم الملائكة تستهزئ بهم وتسألهم عن الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله أين هم الآن لكى تخلصهم وتدفع عنهم هذا العذاب قائلة:

(أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟) أى أين آلهتكم التى اعتصمتم بها فى الدنيا وفتنتم بها عن الإيمان بالله؟ أين هى الآن فى اللحظة الحاسمة التى تسلب منكم فيها الحياة فلا تجدون لكم عاصما من الموت يحفظ عليكم الحياة؟ لكن ماذا يكون ردهم؟ فهم الآن فى موقف يحتاجون فيه مساعدة آلهتهم التى طالما عبدوها، ولكن أين هى تلك الآلهة المزعومة؟ ويأتى الرد قائلين:

(ضَلُّواْ عَنَّا) أى غابوا عنا، فنحن لا نعرف لهم مقرا، وهم لا يسلكون إلينا طريقا – ألا ما أضيع عبادا لا تهتدى إليهم آلهتهم، ولا تسعفهم فى مثل هذه اللحظة الحاسمة! وما أخيب آلهة لا تهتدى إلى عبادها – وبعد ذلك يقرون ويعترفون على أنفسهم بالكفر والضلال:

(وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ) إذا نهاية اللقاء الاعتراف بالكفر بعد أن خذلتهم آلهتهم التى عبدوها من دون الله ولم تنقذهم مما يلاقونه وما ينتظرهم من عذاب جهنم خالدين فيها أبدا.

تعـــليق:

أعتقد والله أعلم قياسا على ما سبق أن هناك الكثير من المواقف تحدث عند الموت ولم يخبرنا عنها علام الغيوب، وأن ما سبق من نماذج كانت مجرد أمثلة لنعرف أن كلا منا سوف يتعرض لواحدة من تلك المواقف، وأن هناك حوار مع ملائكة الموت يختلف من إنسان لآخر وأن معاملة الملائكة سوف تتوقف على الإيمان والعمل الصالح، وأن مصير الإنسان يتحدد فى هذه اللحظة ويعرف كل منا ما ينتظره من خير أو شر **قال تعالى** ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ الواقعة ٨٨-٩٤.

وهنا يتبادر للذهن سؤال عن الزمن الذى تستغرقه تلك الأحداث لأن الموت أحيانا يحدث فى أقل من ثانية ؟ الجواب وكما سبق أن أوضحنا يتلخص فى أن القوانين التى تحكم الإنسان ساعة الاحتضار تختلف عن القوانين التى تحكمنا فى الحياة الدنيا فبداية من ساعة الاحتضار لا وجود للزمن الذى نعرفه ومن الخطأ أن نقيس أمور الآخرة بمقاييس الحياة الدنيا التى نعرفها.

حـــياة الـــبرزخ

البرزخ هو الحاجز بين شيئين، والفترة بين الحياة الدنيا والآخرة تسمى بالحياة البرزخية فهى ليست من الدنيا وليست من الآخرة، وتبدأ حياة البرزخ بعد الموت مباشرة، اى مرحلة بين الموت والبعث، **قال تعالى**﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٠، وهى حياة لها قوانينها الخاصة ولها طبيعتها الخاصة التى دلت عليها آيات القرآن والأحاديث الصحيحة، وللإنسان فيها مدركات وحواس تختلف عن مدركاته وحواسه فى الحياة الدنيا، فهو يسمع بأصوات ما كان يسمعها ويرى ما كان محجوب عنه ويكلم الملائكة ويشعر بعذاب القبر أو نعيمه، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال (أطلع النبى صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقيل له: تدعو أمواتا ؟ فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون)[١٩] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا وضعت الجنازة فأحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين يذهبون بها؟ ويسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق)[٢٠].

أحوال القبر:

القبر أول منازل الآخرة وأشد المواقف على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فمن نجا من عذاب القبر فمصيره الجنة بإذن الله، قال هانئ مولى عثمان بن عفان: (كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى، حتى تبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر القبر فتبكى؟ فقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه)[٢١].

ففى القبر يحيا الميت نوعا من الحياة تختلف عن الحياة المعهودة التى نعرفها الغرض منها السؤال، وللإنسان فيها مدركات وحواس فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الميت يسمع صوت أقدام المشيعين له إذا انصرفوا عنه، وقد شرع صلى الله عليه وسلم لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقولوا السلام عليكم دار قوم

مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، والسلف يجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

وفى القبر يتكلم الميت ويدور بينه وبين الملائكة حوار وتعود إليه ذاكرته، ويفتن الناس ويتعرضون للابتلاء بسؤال الملكين قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التى يفتتن فيها المرء. فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة)[٢٢] باستثناء الشهداء فهم لا يفتنون فى قبورهم، فيكفى ما تعرضوا له من ابتلاء فى أرض المعارك، فقد ورد أن رجلا قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهداء ؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)[٢٣] .

ويشعر الميت بما حوله وبما يحدث له من نعيم أو عذاب، ويرى المؤمن مقعده فى كل من النار والجنة، ففى القبر يعطى المرء صورة حقيقية لما سوف تكون عليه حالته فى الحياة الآخرة.

سؤال الملكين:

بعد الموت مباشرة يتعرض كل إنسان سواء مؤمن أو كافر للمساءلة، سواء دفن فى القبر أو تمزق جسده أو أكلته السباع أو حرق وسحق وأصبح رمادا، عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: أنظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا- قال قتاده: وذكر لنا أنه يفسح فى قبره- ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق و الكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[٢٤]. الثقلين الإنس والجن. أى أن الملائكة لا تحاسب الميت فى القبر عن أعماله، ولكن تسأله فقط عن ربه ودينه ونبيه.

ويدل على سؤال الملكين **قوله تعالى** " يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ إبراهيم:٢٧ .

وهنا يحق للمرء أن يتساءل هل سؤال الملكين يكون لأمة الإسلام فقط أو هو لها ولغيرها من الأمم؟ يقول ابن القيم:

(أختلف العلماء فى الإجابة فمنهم من قال إنما سؤال الميت يكون فى هذه الأمة خاصة ومنهم من قال أن سؤال الملكين يكون لأمة الإسلام ولغيرها من الأمم حيث تسأل كل أمة عن نبيها؟ ومنهم من توقف عن الإجابة والله أعلم) [٢٥].

بالرغم من أن الحياة فى القبر هى حياة عارضه الغرض منها المساءلة، وليست هى الحياة المستقرة المعهودة التى نعرفها، فقد أختلف العلماء هل تعاد الروح للجسد عند السؤال؟ أم السؤال يقع على الروح فقط من غير عودة للجسد؟

يثبت ابن تيمية أن الروح تعاد إلى جسد الميت فى القبر وتفارقه فقال (عودة الروح إلى بدن الميت فى القبر ليس مثل عودها إليه فى هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وأن كانت أكمل منها، بل كل موطن فى هذه الدار وفى البرزخ والقيامة: له حكم يخصه، ولهذا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم: أن الميت يوسع له فى قبره ويسأل ونحو ذلك، وإن كان التراب قد لا يتغير فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه)[٢٦] .

ولكن ابن حزم ينكر عودة الروح لجسد الميت "ذهب ابن حزم وابن مرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عودة إلى الجسد، وخالفهم الجمهور فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد أو بعض كما ثبت فى الحديث ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه، لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال كما هو قادر أن يجمع أجزاءه. والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد فى قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق فى قبره ولا سعة. كذلك غير المقبور كالمصلوب، وجوابهم أن ذلك غير ممتنع فى القدرة بل له نظير فى العادة وهو النائم فانه يجد لذة وألما لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألما أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه وإنما الغلط من قياس الغائب على الشاهد وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على أدراك أمور الملكوت إلا ما شاء الله. وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور "[٢٧].

ويزيد ابن القيم الأمر وضوحا فقال فى كتابه الروح ردا على ابن حزم "ما ذكره أبو محمد فيه حق وباطل، وأما قوله من ظن أن الميت يحيا فى قبره فخطأ، فهذا فيه إجمال أن أراد به الحياة المعهودة فى الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص، وإن أراد حياة أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا ليسأل ويمتحن فى قبره فهذا حق ونفيه خطأ، وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم فتعاد روحه في جسده "[٢٨].

كذلك أختلف العلماء فى غير المكلفين، كالصبيان والمجانين هل يفتنون فى القبر؟ فقيل لا يفتنون لأن المحنة إنما تكون للمكلفين "جزم القرطبى فى التذكرة بأنه يسأل، وهو منقول عن الحنفية وجزم غير واحد من الشافعية بأنه لا يسأل، ومن ثم قالوا لا يستحب أن يلقن" [٢٩].

لكن بصرف النظر عن هذا الاختلاف فمما لاشك فيه أن هناك مساءلة للإنسان تحدث بعد الموت مباشرة، سواء دفن فى القبر أو تمزقت جثته أو أكلته السباع أو حرق وسحق وأصبح رمادا.

عـــذاب القـــبر:

أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا فالكافرين والمنافقين ومن شاء الله تعذيبه من العاصيين الموحدين بالله يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا ما شاء الله، ولقد وردت نصوص فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة تثبت عذاب القبر، وأن هناك جزاء، نعيما كان أو عذابا عقب الموت مباشرة وعلى هذا اتفق سلف الأمة وأهل السنة واستدلوا بما يلى:

-**قال تعالى فى حق الشهداء** ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩-١٧٠ هذا قبل يوم القيامة قطعا لأن الآية ترشدنا إلى ألا نعتبرهم أمواتا كما تخبرنا بأنهم يتطلعون إلى إخوانهم الذين مازالوا فى الحياة الدنيا ينتظرون الشهادة.

-**وقال تعالى** فى حق آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ **غافر:** ٤٦ **هذا العرض يكون فى القبر.**

-**وقال تعالى فى حق قوم نوح** ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ **نوح:** ٢٥ **الفاء للتعقيب فدخول النار عقب الغرق مباشرة يكون فى البرزخ وليس فى يوم القيامة.**

-**وقال تعالى** ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ **الأنعام:** ٩٣ **وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون.**

-**وقال تعالى** ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ **الطور:** ٤٥-٤٧.

يحتمل أن يكون العذاب فى الدنيا، ولكن قال ابن عباس المقصود عذاب القبر، لأن من الذين ظلموا من مات ولم يعذب فى الدنيا.

-**وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)**[٣٠] **المراد بالغداة والعشى وقتهما وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء، ويحتمل أن يريد بالغداة و العشى غداة واحدة وعشية واحدة يكون العرض فيها والله أعلم.**

-**قال ابن عباس رضى الله عنهما (مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: أنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير. ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله. قال: ثم أخذ عودا رطبا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)** [٣١] .

-وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم أني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)[٣٢] .

وتعددت الأقوال هل عذاب القبر ونعيمه يكون على الروح والجسد معا؟ أو يكون على الروح فقط؟ أو على الجسد فقط؟ ولكن أتفق أهل السنة والجماعة على أن العذاب والنعيم يقع على الروح والجسد معا، تنعم الروح وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما فى هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه "فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب " [٣٣] .

ويقول أبن القيم "ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا و نسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العقاب ما يصل إلى القبور" [٣٤].

ويقول الشيخ الشعراوى فى معرض حديثه عن **قوله تعالى** ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ غافر:٤٦، وكون الله سبحانه وتعالى قد أعد لآل فرعون أشد العذاب، ولم يدخلهم النار إلا يوم القيامة دليل على أن العذاب الحقيقى يبدأ يوم القيامة، وأن الإنسان فى قبره يعرف مصيره ويعرف حسناته وسيئاته، ويعرف مقامه من الجنة أو من النار، ويرى مقعده ومنزلته فيهما فإذا عرف إن مقامه فى النار فذلك عذاب ما بعده عذاب لأنه عرف يقينا إلى أين يذهب، ولذلك فإن هذا العذاب يجعله فى قبره وكأنه يتقلب فى النار حين يرى مصيره الأكيد، ويعيش فى ظلمه ويعيش فى كرب ما بعده كرب وحين يرى المؤمن مقامه أو مصيره فى الجنة فإن ذلك نعيم ما بعده نعيم، لأنه يحس وكأنه يعيش فى الجنة و نعيمها إذن فالعذاب الحقيقى لا يأتى إلا بعد الحساب ولكن فى القبر يكفى أن الإنسان يعرف أن مصيره إلى النار ليعيش فى عذاب مقيم ويكفى أن الإنسان يعرف أن مصيره إلى الجنة فيعيش فى نعيم مقيم" [٣٥] .

ولكن هل عذاب القبر دائم يستمر إلى يوم القيامة أو متقطع أو يستمر مدة محددة ثم يتوقف؟

يقول الأمام ابن القيم "عذاب القبر نوعان":

(نوع دائم) سوى ما ورد فى بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا) ويدل على دوامه **قوله تعالى** (ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) ويدل عليه أيضا حديث ابن عباس فى قصة الجريدتين لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا، فجعل التخفيف مقيدا برطوبتهما فقط و(النوع الثانى) إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض المذنبين الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب فى النار مدة ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم" [٣٦] .

۞ الهـــوامش ۞

(١) متفق عليه أخرجه البخارى حديث رقم (٥٠) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة.

(٢) جزء من حديث عن أنس بن مالك ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (حديث رقم ٢٦١٨)

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥١١) فى الرقاق ، باب سكرات الموت .

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى حديث رقم (٤٤٤٩) فى كتاب المغازى، باب مرضه صلى الله عليه وسلم ووفاته .

(٥) أخرجه البخارى حديث رقم (٤٤٤٦) فى كتاب المغازى، باب مرضه صلى الله عليه و سلم ووفاته. و أخرجه الترمذى بلفظ "ما أغبط أن يهون موت بعد الذى رأيت من شدة موت النبى صلى الله عليه وسلم".

(٦) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٠٧) كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٧) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطى ج٣ ص٢٦٧ بتصرف.

(٨) معجزة القرآن ج١٠ (مشاهد يوم القيامة) ، محمد متولى الشعراوى ، ص٩٦ . بتصرف.

(٩) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص١٢١.

(١٠) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج٢ص٢٤٤ أخرجه الترمذى رقم (٣١٧٤) فى التفسير ، باب ومن سورة المؤمنين.

(١١) أخرجه البخارى (٦٤٨٥) الرقاق باب ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.

(١٢) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٠٧) كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

(١٣) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير ج٣ص٣٨٨.

(١٤) تفسير القرطبى ج١٨ ص ١٣١.

(١٥) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص٣٠٠ .

(١٦) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص١٢٣.

(١٧) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص٤٠٥.

(١٨) تفسير الآية فى مشاهد القيامة فى القرآن ، سيد قطب ص ١٠٢-١٠٣.

(١٩) أخرجه البخارى حديث (١٣٧٠) كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى عذاب القبر.

(٢٠) أخرجه البخارى حديث (١٣١٦) كتاب الجنائز ، باب قول الميت وهو على الجنازة : قدمونى .

(٢١) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج١١ ص١٦٥ ، أخرجه الترمذى رقم ٢٣٠٩ فى الزهد باب رقم٥ وإسناده حسن.

(٢٢) أخرجه البخارى حديث (١٣٧٣) كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى عذاب القبر .

(٢٣) رواه النسائى فى الجنائز ، باب الشهيد ، وإسناده حسن.

(٢٤) متفق عليه ، أخرجه البخارى حديث (١٣٧٤) كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر.

(٢٥) كتاب الروح لأبن القيم ص ٨٦.

(٢٦) مجموع فتاوى ابن تيميه ج٤ ص٢٧٤.

(٢٧) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣٥ .

(٢٨) الروح لأبن القيم ص ٤٣.

(٢٩) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٣٠) متفق عليه أخرجه البخارى حديث (١٣٧٩) فى كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة و العشى .

(٣١) متفق عليه أخرجه البخارى حديث (١٣٧٨) فى كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول.

(٣٢) أخرجه البخارى حديث (١٣٧٧) فى كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر.

(٣٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص ٢٨٤.

(٣٤) الروح لأبن القيم ص ٥٨.

(٣٥) معجزة القرآن ج ٩ ، ص ٦٨-٦٩ ، محمد متولى الشعراوى.

(٣٦) كتاب الروح لأبن القيم ص٨٩ بتصرف.